السلوك السوي والسلوك الشاذ

د. دارين الرمضان

علم نفس سلوكي | Psycology

السلام عليكم أصدقاءَنا

نتابع معكم بالمحاضرة التاسعة من مقرر علم النفس السلوكي

راجين من اللّه التوفيق في العمل

الفقرة	الصفحة
معنى السلوك وكيفية تكونه	2
السلوك السوي	4
معنى الشذوذ والسلوك الشاذ	6
المعايير (الاتجاهات) في تحديد الشذوذ	8

والآن نبدأ:

- يبدو لنا سلوك الآخرين مقبولاً أحيانا ويبدو غير مقبول أحياناً أخرى.

✓ في الحالة الأولى: نظهر الارتياح، أو نطلق حكم استحسان، أو نمر بالسلوك من غير أن نطلق أي حكم خاص باعتباره السلوك العادي، الذي تقتضيه المناسبة.

✓ أما في الحالة الثانية: فأكثر ما يحدث هو أن نقف في موقف المستغرب، أو المستهجن، أو الناقد، ونطلق احكاماً عن ذلك السلوك (غير العادي) تتفاوت في درجة ما تنطوي عليه من استغراب أو استهجان أو نقد. فهو غير عادي احياناً، وفي حالات أخرى غريب، مستهجن، خطر، شاذ..... إلخ.

{إن غرضنا الأساسي في هذه المحاضرة هو الحديث عن ذلك النوع من السلوك الذي يكون شاذاً، ولكن تحقيق هذا الغرض يتطلب من أولاً الحديث عن السلوك السوي باعتبار أن الشاذ إنما يكون في الأصل شذوذاً عن خط سير السوي. ونحن لا ننطلق في هذا الحديث عن الشذوذ من ناحية الأخلاق، بل يهمنا الشذوذ من حيث هو ظاهرة نفسية}.

معنى السلوك السوي

معنى السلوك

- يُعرّف عادةً **علم النفس** بأنه علم دراسة السلوك او الدراسة العلمية للسلوك.
- فالتعلم شكل من أشكال السلوك، وكذلك الإدراك، والتخيل، والانفعالات في أشكالها والتي تجري داخل العضوية (الغير ظاهرة).
- فإذا سأل سائل قائلاً: هل تقف حدود السلوك عند ما هو ظاهر من أفعال الإنسان وأقواله؟

✓ قلنا إن كلمة السلوك **شاملة**: أي أنها تشمل كل استجابات العضوية أكانت في حالة التهيج والتوتر أم كانت في حالة تكوين المعارف وتركيبها، أكانت ظاهرة للعيان أم لم تكن كذلك.

كيف يتكون السلوك

لنقف في حديثنا عن حدود الإنسان وسلوكه ولنسأل:

كيف يتم تكون السلوك وكيف يأخذ مجراه؟

إننا نذكر أولاً أن الإنسان عضوية حية مزودة بالقدرة على الحركة والاندفاع،ومزودة كذلك بوسائل تلزم في معرفة ما حولها.

مثال: إذا أخذنا طفل في شهره الثاني، فإننا نجده يحرك أطرافه، يبكي ساعة الجوع، ويندفع نحو الثدي من أجل الطعام حين يقترب منه الثدي، ويستعمل أذنيه وعينيه في التعرف على المحيط حوله، ويستعمل يديه وأصابعه في الكثير من الحركات.

- إن قدرات الإنسان ودوافعه تنمو مع الأيام وتعمل في ذلك عوامل من بينها قدرة العضوية على التطور والنمو، وما عندها من دوافع أولية، ومن بينها المؤثرات الطبيعية والاجتماعية المحيطة بالطفل.

- فإذا أخذناه في عمر الخامسة مثلاً فإن في جملة ما نراه لديه ما يلي:

  - إن جسمه قد نما نمواً ظاهراً، وهو يمشي وحده، ويركض، ويلعب أشكالاً من اللعب، ويمارس أشكالاً متعددة من الحركات، إنه يغضب ويثور أحياناً، ويتلذذ ويفرح أحياناً أخرى، إنه يحمل قدراً من الذكاء يظهر في أفعاله وأقواله، إنه يؤخذ بالموسيقى ويهتم بالرسم،..... إلخ.

  - وهنا نقول : إن قدراته قد نمت، وإن خبرات واسعة قد تكونت لديه.

  - فإذا مر طفلنا هذا في لحظة من لحظات يومه على مناسبة فيها يناديه أبوه ويطلب منه أن يحمل إليه الكتاب الموضوع على الطاولة في غرفة الجلوس، رأيناه يستجيب لأبيه ويحمل الكتاب له (إلا إذا أحاط به مانع).

  - إننا أمام سلوك يصدر عن الطفل وفيه يمر الطفل بموقف، والموقف نفسه ينطوي على عدة قوى.

  - إن خبرة الطفل السابقة وفيها معارفه، وفهمه للغة، ومعرفة صوت الأب، تكون كلها مجموعة من القوى داخل الموقف.

    وطلب الأب من حيث هو مثير قوة أو مجموعة قوى. ومثل ذلك يقال في مشاغل الطفل ساعة سماع طلب أبيه، ووضع الكتاب ووجوده في غرفة ثانية، وكل الشروط الطبيعة المحيطة به – إنها كلها مجموعة من القوى داخل الموقف.

  - هذه القوى تتفاعل مع بعضها بسرعة لتنتج إجراء ما مثل اندفاع الطفل إلى الغرفة وإحضار الكتاب لأبيه.

  - قد يتلكأ الطفل في تلبية النداء: ونستطيع أن نفسر فعله هذا، على أساس أن قوة إنشغاله بما يلعب قد تغلبت على قوة المثير - أي نداء الأب-.

    أو أنه في وضع انفعالي دفعه إلى ذلك الإجراء، أو أنه لم يدرك النداء الإدراك الكافي..... إلخ.

- **فالسلوك إذاً** يتكون من تفاعل مجموعة كبيرة من القوى، بعضها داخلي، وبعضها خارجي، وذلك حين يحيط الموقف بمؤثرات خارجية.

فإذا ظهر لنا على شكل إجراء بسيط، فإنه في واقعه ليس كذلك، إنه معقد، كثير الجوانب، وهو ينطوي على الكثير من تفاعل القوى داخل الموقف.

السلوك السوي

- يظهر السلوك السوي في حياتنا اليومية على شكل السلوك العادي أو المألوف أو المعتدل الغالب على الناس.
- فإذا رغبنا في التحديد قلنا عن السلوك السوي:

أنه السلوك الذي يواجه الموقف بما يقتضيه في حدود ما يغلب على الناس.

فإذا كان الموقف يدعو إلى الحزن واجهناه بالحزن، وحين يظهر أحدنا الضحك بدل الحزن في مثل هذا الموقف نستغرب ذلك ونستهجنه، فإذا تكرر ذلك زدنا في الاستغراب واعتبرنا العمل (عيب) و (شذوذ).

هذا هو الاتجاه السائد في تحديد السلوك السوي.

- إلا أن هذا التحديد للسلوك السوي لا يزال مع ذلك قريب من السطح في بحث المشكلة.

وذلك أن مواجهة الموقف أمر متصل بالشخص وخبرته من جهة أولى، وبشروط الموقف المحيطة من جهة ثانية، من بين هذه الشروط صفة ما يغلب على الناس، ثم إن الموقف متصل كذلك بالطريقة أو الوسائل المستعملة من جهة ثالثة.

- وبناءاً عليه يجب في تحديد السلوك السوي أن نأخذ كل هذه الجهات بعين الاعتبار.

مثال: الطفل الذي لا يزال في عمر الخامسة لا يستطيع ان يواجه موقف الحزن بما يقتضيه لأن فهمه للحزن لم يصل بعد إلى فهم الراشد.

وابن المدينة الشرقية لا يستطيع دائماً أن يواجه المواقف الاجتماعية في المدينة الغربية بسلوك يماثل ما يغلب على الناس هناك.

- **لنأخذ الانجذاب الجنسي مثالاً نوضح فيه تعقد المشكلة.**
- إنه يظهر ضعيفاً في مرحلة من العمر وقوياً في أخرى. ويظهر قوياً عند بعضهم، ومعتدلاً أو قوياً عند الآخرين.
- فإذا ظهر قوياً لدى طفل في الثامنة من عمره بدا للملاحظ شاذاً لا من حيث وجود الدافع، ولكن من حيث درجته في عمر معين، وضمن خبرة معينة.
- كذلك يظهر الانجذاب الجنسي عند الراشد نحو الجنس الآخر ويبدو للملاحظ مألوف من هذه الناحية، ولكن النظر إلى الانجذاب الجنسي يتبدل حين يبدو متجهاً نحو نفس الجنس، كذلك يتبدل حين يبدو سائراً في طريق التلذذ بتعذيب المحبوب وتحل هنا كلمة الشذوذ محل كلمة الاستواء في الحكم على هذا النوع من الانجذاب.

- إن النظر إلى السلوك على أنه غير سوي يواجه الكثير من الصعوبات والاختلاف بين الباحثين، وما ذلك إلا لكثرة تداخل العناصر داخل السلوك ولقرب بعض درجات الاستواء من بعض درجات الشذوذ. ثم إن تمييزه يقتضي البحث عن معيار في نهاية الأمر، كما يقتضي الاعتراف بوجود سلم للاستواء ينطوي على عدة درجات.
- أما المعيار المناسب فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار جوانب المواقف الثلاثة التي ذكرناها، وهنا قد نلجأ المنحى الإيجابي أو نعتمد السلبي.

← أما **السلبي** فيكون بتحديد معيار للشذوذ –مقابل الاستواء- والنظر إلى السلوك السوي بعد ذلك على أنه السلوك الذي لا يكون شاذاً

← أما **المنحى الإيجابي**: فيكون بالنظر إلى قواعد إيجابية (يقتضي الأمر الرجوع إليها) وهنا يمكن الرجوع إلى معيار الصحة النفسية. ونقول عندئذ:

أن **السلوك السوي**: هو ما ينطوي على قيام الوظائف النفسية بعملها بشكل متناسق ضمن وحدة الشخصية.

أو نقول أن السلوك السوي هو ذلك السلوك المعبر عن تكيف مناسب يكون فيه تفاعل الفرد مع محيطه، وتفاعل الفرد مع نفسه مثمر.

وهنا نطرح السؤال التالي: هل يكفي هذا القول في تحديد أين يبدأ الشذوذ؟

- ✓ طبعاً لا يكفي، الأمر يتطلب الرجوع إلى البحث عن سلم نؤكد فيه وجود عدد من الدرجات لأن هناك درجات متعددة لجودة قيام الوظائف النفسية بعملها أو لمستوى التكيف عند الفرد.
- ✓ إن تكيف الفرد مع الجماعة قد يكون من مستوى عالٍ، وقد يكون من مستوى متدني، وقد يكون من مستوى متوسط، ويبقى السلوك سوياً في كل الحالات.
- ✓ ثم إن الاضطراب في التكيف ليس من درجة واحدة،بل هو كذلك على درجات من حيث الشدة والآثار والأعراض.
- ✓ ولهذا لا بد إذن من طرح المشكلة هنا لنرى كيف يكون التمييز بين ما هو في درجات الاستواء وما هو في درجات الشذوذ.

معنى الشذوذ والسلوك الشاذ

معنى الشذوذ

قصّة

لدينا الحالة التالية:

م.ج شاب في مقتبل العمر، تجاوز المرحلة الإعدادية، ولكنه لا يزال في المرحلة الثانوية، جاء يوماً إلى المختص بالعلاج النفسي برفقة أبيه يطلب العون في فحص حالته وعلاجه.

إنه لا يشكو من ضعف في قوته الجسدية، فهو من هذه الناحية مزود بجسم رياضي قوي وصحة ممتازة.

ولا يشكو ضعفاً في مادة دراسية معينة، ولا يذكر أنه سمع أية إشارة من مدرسيه في السابق تدل على ضعف دراسته.

ولكنه يشكو منذ سنتين من تشتت سريع في انتباهه، كما يشعر بالخوف من الناس، إنه قد يلجأ إلى البيت لكي يبتعد عن الناس، فإذا خرج وحده، قدر أن كل من في الشارع ينظر إليه ويراقبه، وشعر بالخوف، ثم بالميل إلى الإغماء، ولا ينجيه من حالته إلا رجوعه سريعاً إلى البيت.

وإذا خرج مع أبيه، كان حاله أقل صعوبة في البدء، ولكن لا يلبث أن يسير في الشارع حيث يكثر تجمع الناس حتى يعتريه الخوف، يبقى لاصقاً بأبيه وهو الشاب القوي، ثم ينتحل كتلة من الأعذار ليرجع بسرعة إلى البيت.

(إن حالة من هذا النوع ليست مألوفة بالنسبة لشاب في العشرين من العمر)، وهي حالة دفعت به إلى البقاء في المنزل أياماً طويلة. قال أبوه عنه أنه مريض، وعبر المعالج سراً عما يلاقيه وأسرته من ضيق بسبب وضع ابنهم.

وقال الابن عن نفسه أنه شاذ بالنسبة لمن يعرفه من الشباب،ومع ذلك فهو لا يشكو من انزعاج إلا من هذه الناحية وما يتصل بها.

تبدو هذه الحالة شاذة للملاحظ العادي، وهي حالة اضطراب تستدعي العناية بالنسبة للمختص.

ولكننا نسأل عما يجعلها شاذة.

✓ إن الخوف من الناس حادثة تتكرر في مناسبات متعددة، في حياة الأطفال والراشدين، وليست حالة الامتحانات الشخصية وإلقاء الخطب أمام الجموع إلا أمثلة عن ذلك. هل تكون كل حالات الخوف من الناس شذوذاً، أم أن الكلمة تنطبق على بعضها فحسب؟

✓ إننا نلاحظ قضم الأظافر عند بعض الأطفال في المرحلة المتأخرة من طفولتهم، ولا نلاحظ هذه الحالة عندهم جميعاً: فهل نحن أمام سلوك شاذ عن تلك الفئة؟

✓ ثم إننا كثيراً ما نمتع عن الإمساك بشيء ما بُعداً عن قذارته، أو عما فيه من جراثيم، ونحن نقدر هذا الموضوع الذي نمر فيه على أنه لازم ولكننا مع ذلك نستخدم عدداً كبيراً من المفردات الدالة على الشذوذ في وصف إنسان نراه يسعى وراء الماء والصابون لغسل يديه كلما لمس شيئاً، أو صافح يداً، رغم أن تفسيره الشخصي عن الأمر هو خوفه من الجراثيم، فلماذا يكون سلوكنا سوياً وسلوكه شاذاً.

❖ الواقع أننا حين نسأل عن الشذوذ نجد أنفسنا أمام عدد كبير من الإجابات :

- فالشذوذ هو تارةً ما يخالف الاستواء، والاستواء ليس واضحاً تماماً.
- وهو تارةً أخرى الاضطراب النفسي الشديد.
- وهو السلوك الذي يعبر عن درجة غير مألوفة من ضعف التناسق داخل الشخصية.
- وهو أحياناً السلوك غير المألوف أو السلوك المتطرف....إلخ.

سعى وايت(White 1956): إلى تعريف علم الشذوذ النفسي: **بأنه دراسة ردود الفعل الشخصية المضطربة تجاه الحياة ومناسباتها.**

وقد فسر معنى كلمة المضطربة بقوله: أنه يعني الأشخاص الذين تضطرب حياتهم بحيث يجدون أنفسهم قلقين، مرتبكين، غير سعداء، معطلين في مجتمعهم....إلخ.

❖ إن هذا التعريف لعلم السلوك الشاذ، ومعه التعاريف المختلفة، إنما تدل على وجود أساس أو معايير نعتمدها في تسمية حالة نفسية ما حالة شاذة. فما هو الأساس الذي نعتمده في تحديد ذلك السلوك؟

معيار السلوك الشاذ (معيار الشذوذ)

- لقد ذكرنا في مطلع محاضرتنا أن السلوك يشتمل التصرف الذي نقوم به ضمن ظروف محيطة، كما يشمل حالتنا النفسية الداخلية، والطريقة التي نعتمدها في تنفيذ تصرفنا.
- فهل تكون الحالة شاذة بناءً على شذوذ في واحد من هذه الجوانب أو فيها جميعاً؟ وفي كل من الحالتين نسأل ما هو معيارنا في الحكم على السلوك على انه شاذ؟

- إن هناك عدد من الإجابات عن هذا السؤال، وهي تتصل بالموقف الذي ينتهجه المجيب من الصحة النفسية والحالات السوية، سنعرض فيما يلي عدداً من الإجابات المختلفة لعدد من العاملين في موضوع الشذوذ النفسي والتي توضح المعيار أو الاتجاه الذي انتهجه كل منهم في تحديد الشذوذ.

المعايير (الاتجاهات) في تحديد الشذوذ

١- الاتجاه (المعيار) الذاتي في تحديد الشذوذ:

- يعرض هذا الاتجاه موس(Moss) وهانت (Hunt) في كتابهما عن أسس علم الشذوذ النفسي، حين يذهبان في تحليل البناء الشخصي لكل منا إلى الآراء التي نعلنها عمن هو الشاذ ومن هو السوي.
- فنحن كما يقولان، ننظر إلى الناس ونلاحظ تصرفاتهم، وكثيراً ما نقول عنها أنها (سوية) حين تنسجم مع أفكارنا وآرائنا الذاتية.

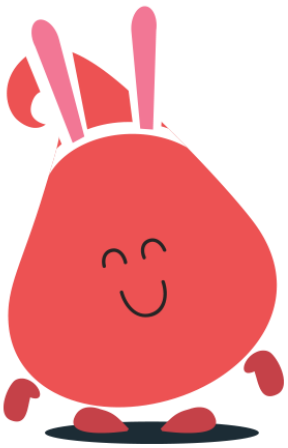

- كما نقول عنها أنها (غير سوية) حين تختلف عن هذه الآراء والأفكار.
- وهكذا فإننا نحكم ذاتنا وكيانها الشخصي الفردي حين نتحدث عما هو سوي أو غير سوي، ونحكمها معتمدين على كل ما قبلته وألفته في خبرتها السابقة.
- وعليه فإن السوي في نظرنا هو ما يتلائم مع ما نرغب فيه، أو ما هو مرغوب فيه من وجهة نظرنا الشخصية، بينما يكون الشاذ نقيضه.

- لاحظوا أن هذا الاتجاه أو التحديد الذي يذهب إليه كل من موس وهانت، كما يذهب إليه عدد غير قليل من الناس في حياتهم اليومية؛ **لا يترك مجالاً للكشف عن معيار عام وغير شخصي نميز به بين ما هو سوي وما هو شاذ.**

- وهذا يعني إغلاق الباب عملياً أمام كل بحث علمي، حين تكون غايته الوصول إلى التعميم والقوانين.

- وعليه فلا بدّ من البحث عن معيار آخر لتحديد أين يبدأ السلوك الشاذ.

٢- الاتجاه الطبيعي في تحديد الشذوذ:

❖ يرى العاملون في هذا الاتجاه أن في الطبيعة كمالاً من حيث الأصل، وأن الانحراف عن النظام فيها، وعن أشكال السلوك الظاهرة في الطبيعة الأصلية، إنما يعبر هو نفسه عن الشذوذ.

❖ فلدى كل إنسان أنواع من الدوافع او الغرائز قد زود بها، وارتبطت بقضائها أنماط من السلوك الأساسية لديه، وقد نظمت شؤون البيئة في الأصل لتوفر الظروف المناسبة لتلبية الدوافع وفق خط الطبيعة.

مثال: إذا وقفنا عند دافع الجنس.

قلنا أن له مرحلة خاصة من العمر لظهور نشاطه، وإن هناك أشكال من السلوك لتلبيته وفق النظام الطبيعي، والدافع هذا ومعه أشكال السلوك المتصلة به، منظمة من أجل أغراض عميقة للطبيعة لا تقف عند اللذة الآنية، بل تمتد إلى الحياة.

ومثل هذا الشيء يقال في السعي وراء الطعام والشراب والجني والنشاط والحركة.

❖ وعليه يكون الاستواء بهذا المعنى هو إذن في العمل وفق ما تقتضيه الطبيعة. أما الشذوذ: فيكون بفعل ما يكون ضد الطبيعة، يقوم به الإنسان بمحض إرادته، وبكلمة عامة فإن:

(الشذوذ هنا: هو العمل المناقض للطبيعة، أو انحراف بالغ في سلوك ما عن طبيعته الأصلية).

❖ طيب إذ أخذنا، عقل الإنسان الساعي إلى التحكم بشروط الطبيعة، يدعوه إلى إجراءات تكون مخالفة للطبيعة في الظاهر وأساسية لبقائه في الأعماق (مثل إجراءات منع الحمل)، فهل نسميها شذوذاً، وهي التي يقال عنها إنها تحميه في حاضره من الشرور، وتوفر له بقاء أفضل في مستقبله، أم نسميها استواء على الرغم من مخالفتها ما يقال عن ((أغراض للطبيعة))؟

٣- الاتجاه الاجتماعي في تحديد الشذوذ:

- يمثل هذا الاتجاه، المعنيون بالأمور الاجتماعية والمنادون بضرورة إعطاء المكانة الأولى للأسس الاجتماعية في بحث الطبيعة الإنسانية.

- فالمجتمع كما يرونه، يضم مجموعة من العادات، والتقاليد، والآراء، والأفكار، التي تسود سلوك الأفراد الذين يتألف منهم. (فإذا خرج الأفراد على هذه المعايير التي تسود مجتمعهم اعتبر سلوكهم شاذاً).

- وهكذا يكون التوافق بين سلوك الأفراد وقيم المجتمع استواء، ويكون عدم التوافق شذوذاً.
- يأخذ هذا الاتجاه أدلته من دراسة المجتمعات المتعددة وبخاصة الابتدائية، والاختلافات التي توجد بينها في تقدير السلوك الشاذ والسلوك المقبول، وهي أدلة كثيرة ومتنوعة.

مثلاً:

نجد بعض المجتمعات، تنتظر من أفرادها ألا يظهروا الكثير من الطموح، وأن يكظموا انفعالاتهم، وأن يميلوا إلى اللين والتعاون.

بينما نجد في مجتمعات أخرى تفضيل لأن يكونوا أفرادها أكثر سعي وراء جمع الثروة، والطمع، وعلى القساوة والقتل.

- أن هذه الأدلة، تؤكد أثر الجماعة في سلوك الفرد، وتبين نوع حكم الجماعة على سلوك الفرد حين يخالفها، واتهامه بالشذوذ في مثل هذه الحالات.
- لكنها في الوقت ذاته تشير إلى أن ما هو (حرام) في مكان ما قد يكون (حلال) في آخر، وأن العيب في السلوك لدى جماعة، يمكن أن يكون (المستحسن) في السلوك لدى أخرى.
- وأن الشذوذ ليس دائماً في عمل واحد معين عند كل هذه الجماعات، ولكنه قد يكون في عمل عند جماعة وفي خلافه عند أخرى.
- يصدق هذا القول على الجماعة الواحدة في تطورها التاريخي. فالآراء التي يحملها الناس الآن عن (الارتباط الزواجي)كانت في يوم من الأيام شذوذاً.

وسلوك عدد كبير منا اليوم في مجتمعنا العربي، في ملبسه أو في التعامل بين الرجل والمرأة، كان قبل ربع قرن من الزمن شذوذا لا تقبل به الجماعة، وكثيراً ما كانت تعاقب صاحبه بقساوة.

- وهذا يعني أن المعيار الاجتماعي قائم في البلد الواحد، ولكنه ليس ثابتاً من جهة، وليس عاماً في المجتمعات المختلفة.
- وبناءاً على ذلك نجد أن المعيار الاجتماعي رغم أهميته غير كافٍ وحده كأساس في تحديد الشذوذ. (وإن من اللازم البحث عن معيار داخل الأسس النفسية التي يقوم عليها الاضطراب الظاهر في حالات الشذوذ).

٤- الاتجاه الإحصائي في تحديد الشذوذ:

- تذهب فكرة التوزع الطبيعي إلى القول أن الطبيعة تميل بصورة عامة إلى الاعتدال والتوسط فيما تنطوي عليه من الحوادث، ومظاهرها الكمية، وإن أكثر الحالات تقع عادةً حول المتوسط بينما لا يقع في حقل التطرف إلا القليل منها.

مثال: إذا أخذنا فترة حياة الإنسان في بلد ما، وحسبنا متوسط الأعمار، وكان مثلاً خمسين سنة، فإننا نجد أن الأكثرية تعيش لتصل هذا المتوسط، بينما يقل نسبة من يموت صغيراً، ومن يعمر طويلاً

- إن هذه الفكرة تعالج إحصائياً بمنحى غوس Gauss وتعطي فيها مكانة كمية لنسب التوسط ونسب التطرف.

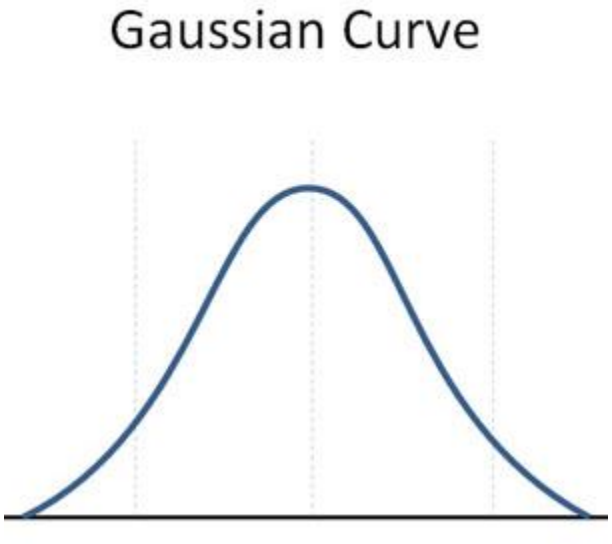

- وينظر إلى التطرف عادةً على أنه الاستواء والاعتدال، وإلى التطرف في شدة الانحراف عن المتوسط على أنه الشذوذ.
- إن الظاهر في التحديد الإحصائي للشذوذ أنه يبقى صحيحاً في الاستعمال ما دمنا نأخذ الأرقام المجردة.
- فإذا اتجهنا إلى الذكاء مثلاً أو التكيف الاجتماعي، أو إلى أي من الظواهر النفسية الأخرى، فإن الاهتمام يبدو لنا عندئذ منصباً على الضعيف؛ فلا نسمي العبقري شاذاً عادةً، بل تلحق هذه الكلمة بالضعيف عقلياً، ولا نسمي الممتاز في تكيفه الاجتماعي شاذاً، بل نسمي من يقع في طرف الضعف الشديد من هذه الناحية.
- أما إذا أخذنا ظاهرة نفسية أخرى مثل الحساسية الانفعالية فإننا نجد الأمر مختلف إذ نرى فيها إمكان استعمال الشذوذ لحالتي الضعف والشدة.

(فإذا جئنا الآن إلى تفصيل الاتجاه الإحصائي في تحديد الشذوذ الجنسي) قلنا ما يلي: إن سعي الإنسان وراء ملذاتهم مهما كانت العواقب قلائل نسبياً والمنكرون لما يجلب لهم اللذة قلائل نسبياً.

- فإذا أخذنا من يسعى إلى اللذة عن طريق تعذيب المحبوب رأينا نسبة وجوده قليلة وواقعة ضمن حدود التطرف التي ذكرناها. ومن هذه الناحية يكون هذا النوع من السلوك شاذاً. ومثل هذا يقال عن الإجرام، والوسواس، والعته، والصرع،.....إلخ.
- إننا نسميها حالات نفسية ناجمة عن فاعلية داخلية خاصة تعمل فيها عدة عوامل وتحقق أغراض خاصة.
- إننا نسميها شاذة من حيث النسبة المئوية لتكرارها أو حدوثها.
- ولكنها نادرة الوقوع، وندرة وقوعها تحسب إحصائياً وتكون هي الأساس فيحكمنا عليها بأنها حالات شاذة.
- إننا نلاحظ في هذا التحديد الإحصائي اتجاهاً علمياً سليماً مناسباً، ولكننا نسأل مع ذلك عما إذا كان كافياً.
- فهل نسمي السلوك شاذاً لأنه نادر الوقوع، أم هو في الواقع نادر الوقوع لأنه شاذ.
- هل يكون الشذوذ الجنسي في مرحلة الرشد شاذ لأنه قل أن يحدث في مجتمعاتنا الإنسانية المتطورة، أم أنه يحدث لأنه شاذ وظيفياً؟

- إن في هذا السؤال صعوبة تواجه التحديد الإحصائي للشذوذ، حيث نرى أن مقدار البعد اللازم عن المتوسط لنصل إلى درجة ندرة الحدوث –أي إلى الشذوذ- ليس دائماً واضحاً في مركبات نفسية تواجه بصعوبات وعراقيل كثيرة أثناء تطبيق وسائل القياس والحكم.
- كذلك نجد أن المتوسط الذي يسهل حسابه إحصائياً يغدو صعب المنال حين ننتقل إلى تحديده على أساس أنه سلوك في بيئة اجتماعية ما.

٥- الاتجاه النفسي الموضوعي في تحديد الشذوذ:

- إن السؤال الذي طرحناه في القسم الأخير من شرح الاتجاه الاحصائي في تحديد الشذوذ هو نقطة الإنطلاق لدى الاتجاه النفسي الموضوعي في التمييز بين السلوك السوي والسلوك الشاذ.
- إن السلوك في كل أشكاله عملية فعالة نشطة تحركها الدوافع الكامنة ورائها من أجل غرض أو مجموعة من الأغراض.
- ومن هذه الناحية يكون كل سلوك ذا مظهر وظيفي.
- فأذا قبلنا ان السلوك السوي هو الأصل، باعتباره الغالب، وقبلنا نقطة انطلاق التحديد الإحصائي هنا، فإننا نعتبر الشذوذ انحراف، ولكن بعض الانحراف مقبول لأن منطقة التوسط واسعة.
- ويجب إذاً أن ننظر إلى الشذوذ على أنه الانحراف الشديد. فإذا رجعنا إلى الوظيفة في العملية المعقدة التي ينطوي عليها السلوك، قلنا أن الشذوذ إنما يكمن في الاضطراب الشديد الذي تظهر آثاره في السلوك ووظيفته.
- إن كل حالة نفسية عملية نشطة تؤدي وظيفة وتظهر في عدد من المظاهر يمكن للملاحظ ان يحيط بها، فلا يكفي في هذه المظاهر أن تكون نادرة الوقوع وعجيبة لنسمي الحالة شاذة أو شذوذاً، ولا تكفي أن تكون مختلفة عن المألوف لنسميها شذوذاً، **بل إنها توصف بالشذوذ حين يقودنا التحليل العلمي لها إلى التأكد من وجود الاضطراب الوظيفي الشديد فيها.** إن هذا المنطلق في تحديد الشذوذ هو الأساس الذي نعتمده.
- إن تحليل الحالة النفسية أمر ممكن، وفيه اتجاهان غالبان ينتهيان إلى نتائج متماثلة من حيث تحديد ما هو شاذ.

١- ينطلق **الاتجاه الأول** من تحليل الحالة النفسية في وظائفها، ونوع النشاط، والأغراض، والآثار التي تخلفها في سلوك الفرد من حيث أنه محصلة لعمل مجموعة من الوظائف.

٢- أما **الاتجاه الثاني**: فيكون من خلال الدراسة العلمية الحديثة في فهم الطبيعة والإنسان معاً فينطلق من نظرية النظم في تكوين السلوك.

(هنا ينظر إلى الشخصية على أنها منظومة معقدة تنطوي على عدد من النظم الفاعلة النشطة والمتداخلة، والاضطراب الذي يحدث في السلوك ليس إلا أذى لحق بعنصر قابل للتغير ضمن نظام من الأنظمة وأثر في عمل ذلك النظام، ونتج عن ذلك تغير في عمل ذلك النظام أدى بدوره إلى التأثير على أنظمة أخرى).

- من هذه الناحية أو الزاوية يكون النظر إلى الشذوذ على أنه تغير حدث ضمن النظام ما باتجاه ما هو مضطرب أدى إلى تغير في أكثر من نظام أخر ضمن منظومة الشخصية.
- وفي كلا الحالتين يكون الاعتماد في تحديد الشذوذ على الدراسة المباشرة لمجموعة من الظواهر والأعراض ولحركية السلوك في نشاطه وتنوع فعاليته، ما تم الحصول عليه من دراسات سابقة، هذا الفحص والموازنة يسمحان في النهاية بتكوين حكم عن الحالة التي نحن بصدد فحصها وعما إذا كانت من نوع من أنواع الشذوذ أو من درجة من درجات ما هو سوي.
- نلاحظ عدد غير قليل من الناس يمرون بفترات تضايقهم فيها فكرة ملحة تظهر وكأنها وسواس يسيطر عليهم، ولكن الفكرة تزول خلال أيام من دون أن تخلف وراءها أثراً يذكر في سير الحياة النفسية لهؤلاء الناس.
- أما حين يتسلط الوسواس، ويوجه الفعالية النفسية ويؤذيها في جانب أو أكثر من العمليات الداخلية وفي الأساليب التي تستعملها في السلوك اليومي، وحين يستمر بقاء ذلك الوسواس فترة طويلة من الزمن، ويتكرر ظهوره، فالاضطراب يكون عندئذ من شدة كافية تسمح بالحكم على الحالة بأنها حالة شاذة.
- وإن الأساس الإحصائي في عملية التحليل، ومعه مقارنة المظاهر موضوع البحث مع المظاهر النفسية المعروفة من قبل أنها مظاهر سوية، أساس قوي نعتمده في سعينا وراء الكشف عن الشذوذ وهو أساس عظيم في تحديد شدة الاضطراب من حيث فهمنا لمقدار تكراره. ومثل ذلك يقال في اختلاف السلوك عما ألفته الجماعة.
- ولكن تحديد الحادث الشاذ، والبحث عن آثاره الوظيفية من حيث هو عملية، ومن حيث وسائله، ومن حيث اعتباره للشروط المحيطة. إن هذه بأجمعها تبقى العمل الأول في تحديد الشذوذ.

RBCs